﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ [الفتح: 25]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

من بَيانِ النَّظْمِ القُرآنيِّ، دفعُ توهُّم غيرِ المَعْنى المُرادِ

لمّا قال سبحانه ممتنًّا على عبادِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾، فكان رُبَّما فُهم مِنْه أنَّ الكفَّ عن قتالِ الكُفّار كان لسببٍ فيهم يقتضي عدم مقاتَلتِهم؛ قال هنا دفعًا لذلك التَّوهُّم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾، فهم كفروا وصدّوا وأحْصَروا، وكلُّ ذلك يقتضي قتالَهم، فلا يقع لأحدٍ أنَّ الفريقين اتَّفقوا، فلم يبق بينَهُما خلافٌ وأنَّهم قدِ اصْطَلحوا، بل الاختلاف باقٍ والنِّزاع مستمرٌّ؛ لأنَّهم هم الّذين كفروا وصدّوا المؤمنينَ ومنعوهُم، فازدادوا كفرًا وعداوةً[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَدُّوكُمۡ﴾: (صد) تدور غالبُ تصريفاتِها على مَعْنى الإعراض والعُدول. وتجيء بعد ذلك كلمات تشذُّ، فالصَّدُّ: الإعراض، يقال: صَدَّ يَصُدُّ؛ وهو ميلٌ إلى أحد الجانِبَيْن. ثُمَّ تقول: صَدَدْتُ فلانًا عن الأمر؛ إذا عدلتَه عنهُ[2]. والصَّدُّ قد يكون انْصِرافًا عن الشَّيء وامتناعًا، نحو قولِه تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 82.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدّ).

[النساء: 61]، وقد يكون صَرْفا ومنعا[1]، ومنه قولهُ تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

2) ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: (هدى) تدلُّ اشتقاقاتُها على أصلين؛ أحدهما: التَّقدُّم للإرشاد، والآخر: بَعْثَةُ لَطَفٍ. ومِنَ الثّاني: الهديَّة؛ وهو ما قُدِّمَ مِن لَطَفٍ إلى ذي مودَّةٍ[2]، والهَدْيُ: ما يُقدَّمُ إلى الحرم من النَّعَم، والهدْي: يثقَّل ويخفَّف، والواحد: هَديَّةٌ بالتَّثقيل والتَّخفيف أيضا. وذهب بعضُ أهلِ اللُّغَةِ إلى أنَّ المثقَّل هوَ جمعُ المخفَّف. ويُقال: أهديتُ للرَّجل كذا؛ إذا بعثتَ به إليه إكرامًا؛ فهو هَديَّةٌ بالتَّثقيل ليس غير، وأهديتُ الهدْي إلى الحرَم؛ أي: سُقْتُه[3]. وهو المُراد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: ما يُهْدى من النَّعَم إلى الحرم، وقد كان المسلمون ساقوا معَهُم هديَهم وهُم متوجِّهون إلى البيت الحرام لولا صدُّ المشركين لهم.

3) ﴿مَعْكُوفًا﴾: (عكف) تدل تصريفاتُها على مُقابلَةٍ وحَبْسٍ[4]، يقال: عكَفَ يعكِف ويعكُف عكوفًا؛ وهو الإقبالُ على الشَّيء وملازمته على سبيل التّعظيم له. والمعكوف: المحبوس الممنوع، قال ابن الأعرابي: يقال: ما عكفَكَ مِن كذا؛ أي: ما حبسَك. ومنه قول الله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾[5]، والعاكفُ والمُعْتَكِفُ في المسجد: مَن حبَس نفسَه فيه ولَزِمَهُ وقتًا للعبادة.

4) ﴿يَبْلُغَ﴾: (بلغ) تدور اشتقاقاتُها على الوصولِ إلى الشَّيء. تقول: بلغتُ المكانَ؛ إذا وصلتَ إليه. وقد تُسَمّى المُشارفَةُ بلوغًا بحَقِّ المُقاربة. ومنهُ قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطّلاق: 2][6]، والبُلوغ والبَلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكانًا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المقدّرة[7]. والمرادُ به في قوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ المكانُ الذي يحلُّ فيه نحوُ الهدي؛ وهو الحَرَم[8].

(1) الراغب، المفردات: (صدّ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدي).
(3) الفيومي، المصباح المنير: (هدي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عكف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عكف)، والراغب، المفردات: (عكف).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلغ).
(7) الراغب، المفردات: (بلغ).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 188.

5) ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: (حل) تدل تصريفاتُها على فتح الشَّيء، يقال: حللتُ العقدةَ أحُلُّها حلًّا. والحلال: ضدُّ الحرام؛ وهو مِنَ الأصل المذكور، كأنَّه مِن قولكَ: حَلَلْتُ الشَّيء؛ إذا أبَحْتَهُ وأوسعتَهُ لأمرٍ فيه. وحلّ: نزَلَ. وهو مِن هذا البابِ؛ لأنَّ المسافر يشُدُّ ويعقِد، فإذا نزل؛ حلّ[1]، والحِلَّة: القوم النّازلون، والمَحَلَّة: مكان النُّزول[2]، والمراد بقول الله تعالى: ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أن يصل الهديُ إلى مكانه المقصودِ وهو الحرم.

6) ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾: (وطئ) تدور اشتقاقاتُها على تمهيدِ شيءٍ وتسهيله. ووَطَّأْتُ له المكانَ؛ أي: هيَّأته ومهَّدتُه[3]، ويجوزُ أن يكونَ المَعْنى الجامعُ لهذه المادَّةِ هو الدّوْس بثِقل الحمل كلِّه على الشَّيء، ويلزم عن ذلك انخفاضه، كموضِعِ القدَمِ مِن ضَغْطِه، ومنه استُعْمِلَ الوطءُ في الغزو والقتل؛ لأنَّ مَن وطِئَ الشّيء برجله؛ فقد استقصى في إهلاكِهِ وإهانته[4]. ومن هذا المعنى قولُهُ تعالى: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ في هذه الآية؛ فإنَّ معناه: تقتلوهم على وجهِ الإبادَةِ والإهلاك[5].

7) ﴿فَتُصِيبَكُم﴾: (صوب) تدلُّ تصريفاتُها على نُزولِ شَيْءٍ واسْتِقْراره قَرارَهُ. ومن ذلك الصَّواب في القولِ والفعل، كأنَّه أمرٌ نازِلٌ مستقرٌّ قرارَه[6]، وأصابَ السّهمَ؛ إذا وصل إلى المَرْمى بالصَّوابِ، والمُصيبَةُ أصلها في الرّميَّة، ثُمَّ اختصّت بالنّائبة، نحو: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: 165][7].

8) ﴿مَّعَرَّةٌ﴾: (عرَّ) تدلُّ اشتقاقاتُها على أصولٍ متباينة، مِنْها: لَطْخُ شيءٍ بغير طَيِّبٍ، وما أشبه ذلك[8]، والعُرَّةُ: اللَّطخ والعيبُ، تقولُ: أصابتني من فُلانٍ عُرَّةٌ، وإنَّهُ لَيَعرُّ قَوْمَه؛ إذا أدْخَلَ عليهم مَكروها. والمَعَرَّةُ: ما يُصيب الإنسانَ مِنَ الإثْم[9]. والمَعَرَّةُ: مَفْعَلة مِن عَرَّه، بمَعْنى عراه؛ إذا دهاه ما يكرهُه ويشقُّ عليه، ومعنى قوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ إثمٌ وشدَّة[10].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلّ).
(2) الراغب، المفردات: (حلّ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وطأ).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وطأ).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 190.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صوب).
(7) الراغب، المفردات: (صوب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عر).
(9) الخليل، العين: (عر).
(10) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 341.

9) ﴿تَزَيَّلُواْ﴾: (زول) تدورُ تصريفاتُها على تنَحّي الشَّيء عن مكانه[1]، أو هوَ تباعُدُ ما هو مُتَّصل في الأصلِ بعضه عن بعضٍ[2]، يُقال: زال الشَّيءُ زوالًا، وزالت الشَّمس عن كبد السّماءِ تزولُ[3]؛ إذا تحرَّكت ومالَت عن وسطِ السَّماء. وزيّلت بينَهم: فرّقت، وزايَلْتُه: فارقته، وقولُ اللّه تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ أي: لو تميَّزوا بافتراقٍ، ولو كان من الزَّوال وهو الذَّهاب؛ لظهرت الواو فيه[4].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ حكمَةِ الله تعالى في كفِّ العذاب

يُبيّن اللّه سُبحانَهُ أن كفّار قريش هم الّذين كفروا وصدّوا أهل الإيمانِ عن المسجد الحرام يوم الحديبية، ومنعوا الهدي من أن يبلغ محلَّ نحرِه؛ وهو الحرَمُ. ولَوْلا رجالٌ مؤمنون مستضعفونَ ونساء مؤمنات بين ظَهْراني هؤلاءِ الكفّار بمكَّةَ ممَّن يكتُمُ إيمانَهُ خوفًا على أنفسِهم؛ لم تَعْرِفوهُم، خشيةَ أن تصيبوهُم بجَيْشِكُم فتقتلوهُم، فيصيبَكم بقتلهم إثمٌ وعيبٌ بغير علمٍ؛ ولكنَّ اللّه تعالى سلَّطَكُم عليهم؛ ليُدخِل سُبحانَهُ في رحمته من يشاء فيتفضَّلَ عليه بالإيمانِ بعد الكفر، ولو تزيَّل المؤمنون والمؤمنات عن أهل الشِّرْكِ من أهل مكَّةَ؛ لكان العذاب الشَّديد المؤلِمُ حتمًا على الكافِرين[5].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالة الاستئناف في ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ﴾:

أثرُ الاستئنافِ في إبرازِ مُتابعَةِ المُتَلَقّي وشَوْقِه

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عمّا قبله لوقوعه استئنافا ابتدائيًّا؛ فقد انتُقِل به من مقام الثَّناء على المؤمنين إلى تَعْيير المشركين بالمَذَمَّة الّتي أتوا بها؛ وهيَ صدُّهُم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زيل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (زيل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زول).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (زيل).
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 794.

المُسْلِمين عن المسجدِ الحَرام، وصدُّهم الهديَ عَن أن يُبْلَغَ به إلى أهلِه؛ فإنَّها سُبّة لهم بين العربِ وهُم أولى النّاس بالحفاوة بالمُعْتَمِرين[1].

ويجوزُ أن يكون الاستئنافُ بيانيًّا، وذلك أنَّ الآية المتقدِّمَة أورثَت سؤالًا في نفس المتلقّي عن حالِ هؤلاء الّذين كفَّ الله تعالى أيديَ المُؤْمنين عنهم، ولماذا؟ فجاءَ الجواب في قولِه تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فيكون بين الآية وما قبلها شبهُ كمال الاتِّصال.

**الغرض من التَّعبير بالمسند إليه ضميرَ غيبَةٍ، وبيان المراد به:**

جـذبُ الانـتبـاه ولَفْتُ النَّظر إلى مَضْمونِ الخبَر

جاء التَّعبير عن الكفّارِ بضمير الغيبة ﴿هُمُ﴾ مسندًا إليه في قول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وهم الّذين سبق ذِكْرُهم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الفتح: 22]، جذبًا للانتباه، واسترعاءً للسَّمع لِما يرد بعدَهُ مِنَ الخبَرِ[2].

**الغرض من التَّعبير بالمسندِ اسمًا موصولًا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:**

بيانُ إغْراقهم في الكُفْر حتّى كأنْ ليسَ كـافِـرٌ إلّا هُم

عبَّر بالمسند اسمًا موصولًا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ﴾؛ ليكون التَّعريف في كلٍّ من المسند إليه والمسندِ مفيدًا للاختصاص والقصر الادِّعائي، بقصد المبالغةِ في قَصْر جِنْسِ الكُفْر على ضَميرهم، حتّى كأنَّهم هم وحدَهُم الكافِرون دون سِواهُم، وذلك أنَّ وصف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمنزلة الجنس، وقد صار الاسمُ الموصول في قوَّة المعرَّف بلام الجِنْسِ، فتكون جملة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مفيدةً قصرَ جنسِ الكُفْر على هذا الضَّمير قصدًا إلى المبالغة لكَمالهم في الكُفْر بصَدِّهم المعتمرين عن المسجد الحرام، وصدِّ الهدي عن أن يبلغ محلَّه[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 187.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 187.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 187.

**دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾:**

بيانُ إيغالهم في الكُفر وتحقُّقهم به

دلَّ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾ في جملة الصِّلة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على شدَّة إيغالهم في الكفر وتحقُّقهم به حسًّا ومعنى، وأنَّهم لأجل هذا فعلوا ما فعلوه مِن الصَّدِّ عن المسجد الحرام وما تلاه.

**دلالةُ التَّعبير بالصَّدِّ:**

الصَّدُّ أخصُّ وأنسبُ مِن التَّعبير بالمَنْعِ ونحوه

يُراد بالصَّدِّ المنعُ والصَّرف بقوَّة وحيلولة، ومنه: الصَّدُّ من الجبل؛ وهو ما يحول[1]، ويقال للجبل نفسه صُدّ - بضمِّ الصّاد وفتحها[2] -؛ لصلابة مَنْعِه وشدَّة حيلولته. والتَّعبير بالصّدِّ هنا دون غيره كالمنع والصَّرف؛ ليُشعِر بشراسة المشركين وإصرارهم على منع المسلمين من الوصول بهديهم إلى البيت الحرام. كما أنَّ التَّعبير بالصَّدِّ أخصُّ من التَّعبير بالمنع ونحوه؛ لأنَّهُ منعٌ عن قصدِ الشَّيءِ خاصَّةً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34] أي: يمنعون النّاس عن قصده، والمنع يكون في ذلك وغيره[3].

**دلالةُ العطف في ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾:**

جمعُ الكُفّار بينَ الضَّرر والإضرارِ

عُطف قول الله تعالى: ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ على جملة ﴿كَفَرُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ﴾ لِما بينَهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ إذ الجملتان متَّحدتانِ في الخبَريَّةِ، وبينهما تناسُبٌ في اللَّفظِ والمعنى، فأمّا التَّناسُبُ في اللَّفظِ فهو اشتراكهما في الفعليَّةِ الماضويَّة، واتِّحاد المسنَدِ إليه فيهما. وأمّا التَّناسُبُ في المعنى فما فيه من تعدادِ جرائِمهم؛ فهم قد كفروا في أنفُسِهم، وصدّوكم عن بلوغ مُرادِكُم في أداء شعيرة ربِّكم، فكان ذنبهم جامعًا ضررُه بين كونِهِ عليهم في أنفُسِهم، وكونه متعدّيا إليكُم.

(1) الراغب، المفردات: (صد).
(2) الفيومي، المصباح المنير: (صدد).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 311.

**معنى ﴿عَنِ﴾ ودلالتها في ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ﴾:**

عـــدمُ بـلـوغ المسلمين الحرَمَ كـان صَـرْفًـا لا انصرافًا

﴿عَنِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ حرف جرٍّ يدلُّ على المجاوزةِ، وحقيقتُها: بُعْدُ شيءٍ عن المَجْرورِ بها بواسِطَة إيجادِ مصدَرِ الفعل الذي قبلَها[1]، فقد تجاوزَ أهل الإيمانِ المسجدَ الحرامَ فلم يَبلغوهُ؛ بسبب صدِّ الكفّار لهُم. فعدمُ بلوغِ المسلمين كان صَرْفًا ومنعًا لا انصرافًا مِنْ قِبَل أنفسهم.

**دلالة اللّام في ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾:**

المـراد بالمسجِدِ مسجدُ الكعبَةِ

اللّامُ في ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يُرادُ بها العهدُ العلميُّ؛ وهو مسجدُ الكعبَةِ؛ إذ هو المسجدُ الذي مُنِعَ المسلمونَ مِنَ الوصول إليهِ.

**الغرضُ مِن الوَصْفِ ﴿ٱلْحَرَامِ﴾:**

إظـهـارُ شـرَفِ المَسْجِد وعَظَمَتِه

وُصف المسجدُ بالحرام في قول الله تعالى: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ تعظيمًا له وتشريفًا، وأنَّ هذا التَّشريفَ وذاك التَّعظيم يقضي بكونه كذلك عند النّاس كُلِّهم، وأنَّه لِلنّاس كافَّةً، فلا اختصاصَ به لشَخْصٍ دون آخرَ[2]، ومن ثَمَّ، فلا يحقُّ للمشركين أنْ يمنعوا عنه أحدًا، فوُجودُهم في المكان لا يستلزمُ أنهم وحدهُم أصحابُه، فَهو بيت الله تعالى، وبيوت الله سُبحانَهُ للنّاس كُلِّهم، لا يُمنع قاصدوها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: 114]، كما كان يفعل المشركون، فإنَّهم كانوا يَمنَعونَ مَن شاؤوا مِن دخولِ البيتِ ويقولونَ: نحنُ ولاتُه، نفعل ما نشاء، ويصدّون المؤمنين عن الطَّواف به، وقد صدّوا رسولَ الله عليه وسلم ومن معَهُ بالإخراج، ثُمَّ صدّوهم عام الحديبية عن الوصول إلى البيتِ، وعامَ عمرة القَضيَّة عن الإقامة بعد الأيّام الثّلاثَةِ[3].

(1) إسماعيل الحامدي، حاشية على شرح الكفراوي على الآجرومية، ص: 14.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 273.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 273.

**دلالة العطف في ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾:**

تشريفُ الهدي بذِكْرِ صدِّه استقلالًا

عُطِف لفظ (الهدي) على ضميرِ المفعولِ في ﴿وَصَدُّوكُمۡ﴾[1] تعبيرًا عن جَمعهم بين الصَّدَّيْنِ، وفيه إيماء إلى مضاعفة جرمهم بهذا الجمع، كما أنَّ فيه تشريفا لقدر الهدي؛ إذْ جُعِل منعُه عن الوصول إلى محلّه صدًّا مستقلًّا، لا صدًّا تابعًا للصَّدِّ عن المسجد الحرام.

**الغرض من التَّقْييد بالحالِ ﴿مَعۡكُوفًا﴾:**

بيانُ شناعةِ حالِ الكافرينَ وفَظاعةِ صَنيعهم

لفظُ ﴿مَعۡكُوفًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ منصوبٌ على أنَّهُ حالٌ، أي: وصدّوا الهدي حالَ كونه محبوسًا عَنْ أن يبلغَ محلّهُ. وصاحب الحال هو لفظُ (الهَدْيَ)، وغرض ذكر الهَدْي مقيَّدا بهذه الحالِ التَّشنيعُ على الكفّار في صدِّهم المسلمين عن المسجد الحرامِ بأنَّهم صدّوا الهدايا أن تَبْلُغ محلَّها، حيث اضْطُرَّ المسلمون إلى نحر هداياهُم في الحديبية، فيكون الكفّار بهذا الصَّنيعِ قد عطَّلوا شعيرةً من شعائر الله تعالى، ففي ذِكْرِ الحالِ تصويرٌ لهيئَةِ الهَدايا وهيَ محبوسَةٌ[2].

**الأوجه الإعرابيَّة لـ ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ وثراء المعنى:**

أثرُ اختلاف الإعرابِ في إثراءِ المَعاني

(أن) في قول الله تَعالى: ﴿أَن يَبۡلُغَ﴾ مصدريَّةٌ، والفعلُ المضارع بعدَها منصوبٌ بها، وهيَ ومُضارِعُها مصدرٌ مؤوّل، تقديره: بلوغ.

وأوثِر المصدر المؤوَّل دون الصَّريح؛ لِما يكسبُه من حالٍ تصويريَّة لا ينهَضُ بها المصدرُ الصَّريحُ، وذلك أنَّ الفعل المُضارِع ﴿يَبۡلُغَ﴾ يساعِد على تصوُّر حال الهدي وهو ممنوعٌ مِن أن يَصِلَ إلى الحرَم، ومعَهُ أيضًا تصوُّرُ حالِ الصَّحابة رِضْوانُ الله عنهم وقد كانوا مُتَأهِّبين لسَوْقِه وذبحِه في الحرمِ لولا صدُّ المشركين لهم.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 249.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 188.

**وفي إعراب هذا المصدر المؤوَّل أوجهٌ:**

**أحدُها**: أنَّه على إسقاطِ الخافضِ، أي: عَنْ أنْ، أو مِنْ أنْ. وحينئذٍ يجوزُ في هذا الجارِّ المقدرِ أن يتعلَّقَ بـ (صَدّوكم)، وأن يتعلَّقَ بـ ﴿مَعۡكُوفًا﴾ أي: مَحْبوسًا عن بُلوغِ محلِّه أو من بلوغِ مَحِلِّه.

**ثانيها**: أنه مفعولٌ مِنْ أجله، وحينئذٍ يجوز أن يكونَ علَّةً للصَّدِّ، والتَّقدير: صَدّوا الهَدْيَ كراهةَ أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّه، وأن يكون علَّةً لـ﴿مَعۡكُوفًا﴾ أي: لأجل أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّه، ويكون الحبسُ من المسلمين، وهو خلاف الظّاهر. ولا يساعِدُه السّياقُ.

**ثالثُها**: أنَّــه بــدلُ اشتمالٍ من (الهَدْي) أي: صَدّوا بلوغَ الهَدْيِ مَحِلَّه[1].

والأوَّلُ أظهرُها.

**غرض الإضافةِ في قولِه: ﴿مَحِلَّهُۥ﴾:**

بيانُ اخْتِصاصِ الـحَـرَم بنَـحْـرِ الهَدْي

الإضافة في لفظ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ من قول الله تعالى: ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ هي إضافَةُ تَخْصيصٍ، والمقصودُ: المَحِلّ الذي يكون فيه ذبحُ الهَدْي وهو الحرَمُ، وبهذه القرينة يترشَّحُ كونُ النَّحر في الحرم خاصَّةً[2].

**معنى الواو ودلالَتُها في ﴿وَلَوۡلَا﴾:**

الـجـمـع بين الدَّوافع والموانِع

الواو في ﴿وَلَوۡلَا﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدها على الجملةِ المستأنفة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وهاتانِ الجُملتانِ - المعطوفة والمعطوف عليها - جمعتا الدَّوافع والموانع، بمعنى أنَّ الجملة المعطوف عليها - وهي جملة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ﴾ - اسْتَدْعَت الدَّوافع التي توجِبُ مقاتلَةَ الكُفّار من حيثُ إنَّهم كفروا وصدّوا المُسْلِمينَ عَن دُخولِ المسجدِ الحرام وعن بلوغ الهدي مكَّةَ. بينَما الجُملة المعطوفَةُ ذكَرَت موانِعَ هَذا القِتالِ وهو وجودُ مُؤْمِنين ومؤمناتٍ بينَ المُشْركينَ يُخفون

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 716.

(2) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 85.

إيمانَهم والمُسْلِمون لا يعرفونهم، فلو أُذِن بقتال المشركين؛ لربَّما وقع قتالُ هؤلاء المؤمنين؛ لعَدَمِ معرِفَتهم.

### الغرض من التَّعبيرِ بـ (لولا):

بيانُ المانِعِ مِنَ القِتالِ

(لولا) حرفُ شرطٍ غير جازمٍ يُفيد امتناعَ وجودِ الجوابِ لوُجود الشَّرط، والشَّرط هنا هو ما جاء بعد (لولا) وهو قوله: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾، والجواب محذوفٌ، تقديره: لعذَّبْنا الكافرين، وقد دلَّ على هذا الجواب المحذوفِ جوابُ (لو) في قوله بعدُ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ الجوابَ هو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ المذكور، وجوابُ (لو) هو المحذوفُ، فَحُذِفَ من الأوَّلِ لدلالةِ الثّاني، ومن الثّاني لدلالةِ الأوَّل[1] على طَريقَةِ الاحْتِباكِ في الحذفِ. والمعنى: لولا وجودُ هؤلاء المؤمنين والمؤمنات بينَهُم؛ لعذَّبْنا الكفّارَ بأيديكُم فقاتَلْتُموهُم، لكنْ منَعَ من ذلك وجودُ أهل الإيمانِ بينَهم. ويجوزُ أن يكون التَّقدير: لولا كراهة أن تُهْلِكوا ناسًا من أهل الإيمان بين الكافرينَ وأنتمُ غيرُ عالمينَ بهم فيصيبَكُم بذلكَ مكروهٌ؛ لما كَفَّ أيْديَكُم عنْهم[2].

### الغرَضُ مِن وصفِ الرِّجال والنِّساءِ بالإيمانِ:

التَّنْويهُ بشَأْنِ الإيمانِ ومَنْزِلتِه الرَّفيعة

الغرض من وصف الرِّجال والنِّساءِ بوصف الإيمانِ في قول اللّه تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ لبيان أنَّ هذا الوصف الّذي تحقَّق به هؤلاء – وهو الإيمانُ – هو القَيْدُ المانِعُ مِن مُقاتَلَتهم. وفيه ملمَحٌ آخرُ؛ وهو أنَّ العراقة في الإيمانِ هي التي أهّلت للوصفِ بالرُّجولَة وكذلكَ النِّسْوة[3]. وثَمَّ سببٌ آخَرُ مستبطَن في الآية وهو أنَّ اللّه تعالى يعلم أنَّ من بين هؤلاء المشركين مَن سيدخُلُ الإسلامَ بعدُ،

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 717.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 327.

فتكون الآيةُ شاملَةً أيضا لِمَن جبله الله تعالى على الخيْرِ، وعَلِمَ منه الإيمانَ، وإن كان مشركًا وقتَ نزولِ الخطابِ[1].

### سرُّ التَّنصيص على ذِكْرِ النِّساء:

أسلوبُ الإطنابِ أنسَبُ لِمقامِ استِثارةِ الشَّفقة

عُطِفَ قولُهُ: ﴿وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ على قوله قبلُ: ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾، ولم يُكتَفَ بذِكْرِ الرِّجال؛ وهو كاف في ربط امتناعِ الجواب بالشَّرط، فلم يرد النَّظم القرآنيُّ: (ولولا المؤمنون)؛ فإنَّ جمع التَّصحيح المذكَّر في عُرْفِ القرآنِ الكريمِ يتناول النِّساء غالبًا، والسِّرُّ في ذلك: أنَّ تخصيص النِّساء بالذِّكْرِ أنسَبُ لمعنى انتفاءِ المعرَّة بقَتلهنَّ، ولمعنى تعلُّق رحمة الله تعالى بهنَّ[2]. وثَمَّت ملمحٌ آخرُ وهو أنَّ المقامَ مقامُ استثارة الشَّفقة وهي ملائمةٌ لتعداد ما يُرقِّقُ القلْبَ، فيقال مثلا لمن يعذِّب شخصًا: لا تعذِّبه، وارحم ذُلَّه وفقرَهُ وضَعْفَهُ. ويُقال: أولادهُ وصغارُه وأهلُه الضُّعفاء العاجزون، فكذلكَ ههُنا قال سُبحانَهُ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾؛ لترقيقِ قُلوب المؤمناتِ ورضاهم بما جرى من الكفِّ بعد الظَّفر[3].

### بلاغة الطِّباق بين ﴿رِجَالٌ﴾ و(نساء):

النِّساء شَقائِقُ الرِّجالِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ طباقُ إيجابٍ بين لفظ ﴿رِجَالٌ﴾ ولفظِ (نساء)، وهو فضلا عمّا فيه من جمال المقابلة؛ فإنَّه يرسّخ قاعدة الإسلام في عدم التَّفريق بين الرِّجال والنِّساء في الجزاءِ واعتبارِ الفَضائل، ولكِنَّ الفروقَ هي في بعض الأحكام التي راعت الشَّريعةُ فيها مَلاحِظَ تتَّفِقُ مع طبيعةِ كُلٍّ مِنَ الرَّجل والمرأة.

### الغرض من حذف جوابِ لَوْلا:

حُذف جوابُ (لولا) في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 327.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 189.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 84.

وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ﴾ إيجازًا؛ لدلالة المذكور عليهِ؛ وهو جوابُ (لو) المذكورِ في قوله تعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. كما أنَّه يجوزُ تقديرُ المحذوفِ بصوَرٍ وأساليبَ أخرى تُفْهَمُ من السّياق، فتكون علَّة الحذف: أن تذهبَ النَّفس في تقديرِ المَحْذوفِ كُلَّ مذهب، على أن يتحقَّق المعنى الأصليُّ المقصودُ؛ وهوَ أنَّه لولا كراهَة أن تُهْلِكوا جماعةً مِن المؤمنين بين ظهرانَي الكُفّار، حالَ كونكم جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكِكُم إيّاهُم معرَّةٌ ومكروه؛ لَما كفَّ أيديَكُم عنهُم[1].

طَيُّ اللَّفْظِ الذي دلَّ عليه السّياق إيجازًا واخْتِصارًا

**الغرَضُ من التَّقييد بجملة الصِّفةِ ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾:**

قولُ اللّه تعالى: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ أي: لم تعرفوهم بأعيانِهم لاختلاطِهم، وهو صفةٌ لـ ﴿رِجَالٌ﴾ و(نساءٌ)[2]، وفائدة الوصفِ: إزالَةُ ما قد يَرِدُ على خاطرِ بعض المؤمنين عن سبب المَنْع مِن قتال المشركين مع توفُّر الدّواعي والأسباب لقتالهم، فبانَ السَّبب في إيراد هذا الوصفِ، وهو وُجودُ مؤمنين رجالًا ونساءً بين المشركين وهُم لا يعرفونَهُم، ففيه نَصٌّ على علَّة المنع مِنَ القتالِ. وفي التَّعبير بـ ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ كنايةٌ عَن اخْتِلاطهم[3] وعدمِ تَمايُزهم، فالمُؤْمِنون المُتَخَفّون المخفونَ إيمانَهُم هُم بين أشخاصِ المشركين دونَ تمايُزٍ عَنْهُم.

بيانُ علَّة عدم الإذنِ بقِتال المُشْرِكين

**الغرض من بدل الاشتمال ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾:**

أصلُ الوطءِ: الدَّوْسُ بالرِّجل على شيءٍ، وهو هُنا في قول اللّه تعالى: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ مستعار للإبادَةِ والإهلاك بالسَّيف ونحوه[4]، على طريقة الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة. وقوله: (لم تعلموهم) هو بدل اشتمالٍ من ﴿رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ﴾، "فكأنَّه قال: لولا

التَّعبير بالوطء استعارة عن الإبادَةِ والإهلاكِ

(1) الصاوي، حاشية الصاوي على الجلالين، دار تحقيق الكتاب، الطبعة الأولى، لبنان، 2024م: 6/ 352.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 111.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 64.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 343، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 137، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 190.

رجالٌ غير مَعْلومي الوطءِ فتصيبَكُم منهم معرَّةُ عيب أو إثم، وذلك لأنَّكم ربَّما تقتلونهم، فتلزمكم الكفّارة وهي دليلُ الإثم، أو يعيبكم الكفّار بأنَّهم فعلوا بإخوانهم ما فعلوا بأعدائهم"[1]، وهذا على تقديرِ أنَّ بعضَهم كانوا معروفين للكُفّار، وفيه بُعْدٌ؛ إذ الكُفّار لم يكونوا ليأذَنوا بِوُجود مؤمنينَ بينَهُم وهُم الّذين أخْرَجوهُم مِن ديارهم.

### معنى الفاءِ ودلالَتُها في ﴿فَتُصِيبَكُم﴾:

بيانُ ما يترتَّب على إهلاكِ المُؤْمِنين بغير قَصْدٍ

الفاء في ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عاطفة الجملةَ بعدَها على جملةِ ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾ مُتَرَتِّبة عليها. فإصابَةُ المعَرَّة مُتَرَتِّبةٌ على وطءِ القَوْمِ المُؤْمِنين الّذين لا يَعْرِفونَهم، وواقعةٌ فَوْرًا عَقِبَه.

### دلالة التَّعبير بالفِعْلِ المُضارع ﴿فَتُصِيبَكُم﴾:

شناعَةُ قَتلِ أهلِ الإيمانِ وبَشاعَتُهُ

عُبِّر بالفِعْلِ المضارع ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لتصوير حال الفجيعةِ والرَّزيَّةِ التي كانت سَتُصيبُهم لو قتلوا المؤمنين الّذين لا يعرفونَهم، وعِظَم هذه الإصابة التي ترتقي إلى حدِّ المصيبة لو حدَثَ هذا؛ ليُدْرِكوا عظيمَ رحمة الله تعالى بهم أن كفَّهم عن القتالِ. وفي التَّعبير عن المفعول به في (تصيبكم) بالخطاب إشعارٌ برحمة الله بهم، وإعلامٌ أيضا بأنّ الكفَّ المذكور معلَّل بصَوْنِ المخاطبينَ لا بِصَوْنِ مَن بمكَّة من أهل الإيمان الّذين لا يُعرفونَ. على أنَّه لا مانِعَ مِن تعدُّدِ العِلَل[2].

وفي التَّعبيرِ عمّا يلحقهم مِن أذًى نفسيٍّ بالإصابَةِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ إذ شُبِّه لحوقُ الأذى بهم بإصابةِ الغرضِ، إخراجًا للمعنويِّ في صورةِ الحِسّيِّ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 82.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 66.

**الغرَضُ من تقديم الجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنْهُم﴾ على الفاعل ﴿مَّعَرَّةٌ﴾:**

ليس للكُفّار غرضٌ إلّا إيذاء أهل الإيمانِ

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿مِّنْهُم﴾ على المسند إليه ﴿مَّعَرَّةٌ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لإفادة الحصْرِ والاخْتِصاص؛ فإنَّ المعرَّة المتوقَّعة لن تكون إلّا منهم؛ أي: مِنَ الكُفّار، فهم الّذين سَيُلاحِقونَكُم بالمَعَرَّة والإيذاءِ قصدًا مِنْهم لعيبِكُم لا شفقةً بمَنْ قُتِلَ من أهل الإيمانِ.

**الغرض من تنكيرِ الفاعِلِ ﴿مَّعَرَّةٌ﴾:**

عِظَمُ تَشْنيعِ الكُفّار على أهلِ الإيمانِ

المعَرَّة: مصدرٌ ميميٌّ من عَرَّهُ؛ إذا دهاه، أي: أصابه بما يكرهه ويشقُّ عليه من ضُرٍّ أو غُرم أو سوء قالةٍ[1]، وقد نُكِّر لفظُ ﴿مَّعَرَّةٌ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ للإشعار بعِظَمِها وشُمولها، فإنَّ المشركين لن يفوّتوا هذه الفرصة الّتي لو قتلتُم إخوانكم؛ لاغْتَنَموها وشهَّروا بكم وشنَّعوا بها عليكم بكُلِّ سبيل. وذُكر أنَّ المعرَّةِ التي تلحقُهُم هي في وجوب الدّية والكفّارة، وسوء مقالة المشركين أنَّهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بالمشركين من غير تمييزٍ بينَهُم، ومن المعرَّة الإثمُ حالَ وقوعِ شيءٍ من التَّقصيرِ[2]، وضعّف ابنُ عطيَّة أن تكون الدّية داخلةً في المعرَّة، وضعّف أيضًا أن يكون الإثمُ منها، وذلك لأنَّه لا إثم ولا دية في قتل مؤمنٍ مستور الإيمانِ مِن أهل الحربِ[3].

**معنى الباء ودلالتها في ﴿بِغَيْرِ﴾:**

الباءُ في ﴿بِغَيْرِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على المُلابسَةِ، أي: فتصيبكم منهم معرَّةٌ ملابسين انتفاءَ العِلْمِ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 191.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 343.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 137.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 191.

### دلالة القَيْدِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وفائدتُه:

القيدُ لتأسيسِ مَعْنًى جديدٍ لا للتَّأكيدِ

هذا القيد ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في موضع الحالِ مِن ضمير المخاطبين في ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾، أو هو صفة لِـ ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾[1]، والمقصودُ به نفي العلم بلحاق المعرّة نتيجةَ وطْأتِهم، وهو علمٌ آخرُ غير العلم المنفيِّ في قوله: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾؛ إذ العِلْمُ المنفيُّ في قوله: ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ هو العلم بأنَّهم مؤمنون بالّذي انتفاؤه سببُ إهلاك غير المَعْلومين الّذي نتجَ عَنْهُ لحاق المعرَّة. والعلم المنفيُّ في قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هو العِلْمُ بلَحاق المعرَّة مِن وطْأتِهم التّابع لعدمِ علمهم بإيمانِ القَوْمِ المقتولين[2]، فمُتَعَلّق العِلْمِ في الأوّلِ: الوَطْأة، وفي الثّاني: أنفسهم باعتبار الإيمان[3]، فبذلك يكون القيد واردًا على جهةِ التَّأسيسِ، وليس تكرارًا للفائدة الأولى، خلافا لمَن رأى ذلك وأنَّ القصد به التَّأكيد والتَّقرير[4].

### معنى اللّام ودلالتُها في ﴿لِّيُدْخِلَ﴾:

شُمولُ الرَّحمةِ لِرَحْمَةِ الدُّنيا والآخِرَةِ

اللّام في ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ هيَ لام التَّعليل، وقد عُلّل بها ربطُ الجواب بالشَّرط، على معنى: لولا وجودُ رجال مؤمنين ونساء مؤمنات؛ لَما كفَّ أيديَكُم عنهم. أو لعذَّبنا الكافرينَ، وأنَّ هذا الرَّبط هوَ لأجل رحمة الله تعالى مَن يشاء من عباده؛ إذْ رَحِمَ بهذا الامتناعِ جيشَ المُسْلِمين بأنْ سَلَّمَهُم مِن معرَّةٍ تَلْحَقُهم، ورَحِمَ المؤمنين والمؤمنات بنجاتهم من الإهلاكِ، ورحم المشركين بأن استبقاهُم لعلَّهم يُسْلِمون أو يُسْلِم أكثرهم، كما وقع بعد فتح مكَّة، ورحم مَن أسلموا منهم بعد ذلك بثوابِ الآخرة، فالرَّحمة في الآيةِ شاملةٌ لرحمَةِ الدُّنيا والآخرة[5].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 267.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 191.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 65.
(4) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 87.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 191.

**دلالة التَّعبير بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾:**

أوثِر التَّعبير بالفعل المُضارع ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ ليشمل زَمَنَيْهِ: الحال والمُسْتَقْبَل؛ فإنَّ الرَّحمة بمنع القتال عاشَها في الحال المؤمنون والمشركون، والرَّحمةَ بالتَّوفيق وزيادة الخير ومنح الدَّرجات عاشها المؤمنون وانتظرها مَن آمن مِنَ المُشركين بعدَ الفتحِ، ثُمَّ تأتي رحمةُ الآخرة وهي رحمةٌ ينتظِرُها المؤمنون جميعًا.

المضارع مستعملٌ في زَمَنَيْهِ الحال والاستقبالِ

**الغرَضُ مِن الإسنادِ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:**

أُسْنِد فعل الإدخالِ ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله سُبحانَهُ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ تعظيمًا لهذا الإدخالِ؛ إذ نُسِبَ إلى مَن له صفاتُ الجلال والجمال والكمال، وما نُسِبَ إلى العظيمِ فهو عظيمٌ. وهو سبحانه هو الّذي يملِكُ أن يُدْخِل في رحمته مَن يشاء، ولأنَّ الرَّحمة هنا طالَتِ المُشْرِكين أيضًا بأنْ حقَن سبحانه دماءَهم بهذا الكفِّ عَنِ القِتال، ومَن يَملِكُ أن تمتَدَّ رحمتُه إلى الكافرِ به غير الله تعالى. كما أنَّ وقوعَهُ مسندًا إليه للفعلِ المضارع يُفيد كذلك تجدُّد هذا الإدخال للنّاس في رحمته واستمراره بقَيْدِ المَشيئة.

ما يصدُرُ مِنَ العظيمِ عظيمٌ

**معنى ﴿فِي﴾ ودلالَتُها في قوله: ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾:**

﴿فِي﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ حرفٌ دالٌّ على الظَّرفية المجازيَّة بما يشعر بأنَّ مدخولها وهو الرَّحمة بمنزلةِ الوعاءِ الذي يشمَلُ عبادَ الله تَعالى أجمعين، وأنَّه مِن سَعَتِه شَمِل المشركين في بعض الصّور في الدُّنيا، كَحَقْنِ دِمائهم وهُم مُشْرِكون، وتوفيقُ بعضِهم للدُّخول في الإسلام بعد الفتح، فذلك كلُّه مِن مُقْتَضيات الرَّحمة الشّامِلة.

عمومُ رَحْمَةِ الله تعالى وشُمولُها

### الغرض من التَّعبير بالمَجاز في ﴿رَحۡمَتِهِۦ﴾:

بلاغة الاستعارة المكنيَّة في لفظ الرَّحمة

الرَّحمةُ المضافةُ إلى الله تعالى ضربانِ؛ فقد يُراد بها الصِّفةُ القائمةُ به سُبحانَهُ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: 58]، وقد يُراد بالرَّحمة رحمةٌ مخلوقةٌ وهي من آثار رحمة الله تعالى[1]، كما في الحديث القدسي: «قالَ اللهُ ﷻ لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتي أرْحَمُ بِكِ مَنْ أشاءُ مِنْ عِبادي»[2].

واستعمالُ الرَّحمة في قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ إن أريدَ به الجنَّةُ، فالظَّرفية المستفادَةِ من حرف الجرِّ (في) حقيقيَّةٌ. وتكون الرَّحمة على هذا مجازًا مرسلًا، من إطلاق الوصفِ وإرادَةِ أثره.

وإن أُريدَ بالرَّحمة الصِّفةُ القائمةُ بالله تعالى، فتكون الظَّرفيَّة مجازيَّةٌ؛ إذ نُزِّلَ الأمر المَعْنويّ منزلةَ الحسّيِّ كالدّار ونحوِها؛ بحيث بلغ مِن سَعَتِها أنَّها لا تضيق عن أحد أُريد إدخاله فيها، ويُمنعها من لا يُراد إدخاله، ثُمَّ حذف المشبَّه به، وعُبِّر عنه بشيء من لوازمه وهو كلمة (يُدْخِل) على سبيل الاستعارة المكنيَّة. والغرض من هذه الاستعارة ترغيب النّاس في تلمس أسباب الدّخول في هذه الرَّحمة بتحصيلِ الإيمان والطّاعة، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156 - 157].

### الغرض من التَّعبير بالمفعولِ اسمَ موصولٍ ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾:

نـفـوذُ أمـر الله تعالى في ملكوته

﴿مَن﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ اسمٌ موصولٌ بمعنى (الّذي)، وهو مفيدٌ العمومَ، وهو عمومٌ مشروطٌ بمشيئةِ الله تعالى، فكلُّ مَن شاء الله تعالى إدخاله الجنَّةَ؛ أدخله

(1) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية: 2/ 39.

(2) رواه البخاري في صحيحه، رقم: (4850)، ومسلم في صحيحه، رقم: (2846).

إيّاها، وهذا يقتضي عظيمَ نفوذِ أمر الله تعالى وجليلِ سُلطانه في ملكوته. وعُبِّر بـ ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ لِما فيه من شُمول أصنافٍ كثيرةٍ، ولِما فيهِ مِنَ الإيجاز، ولِما فيه مِنَ الإشارَةِ إلى الحِكْمَة التي اقتضت مشيئة الله تعالى رحمةَ أولئك[1].

**دلالة التَّعبير بالفِعْلِ المُضارع ﴿يَشَآءُ﴾:**

مشيئةُ الله تعالى قديمَةُ النَّوع متجدِّدة الأفرادِ

جاء التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَشَآءُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ للدّلالةِ على التَّجدُّد؛ فإنَّ مشيئةَ إدخالِ الله تَعالى أحدًا الرَّحمةَ من الأوصافِ الفعليَّة. ثُمَّ إنَّ الفعلَ المضارعَ لمّا كان دالًّا على الحالِ أو الاستقبالِ؛ فإنَّه يُفيدُ أنَّ الله تعالى يشاءُ إدخالَ الرَّحمة وقتَ الخطابِ بكفِّ القتالِ عنهم، ويشمَلُ الزَّمنَ المستقبَلَ ممَّن سيكونون بعدُ، أو مَن هُم موجودون وقت الخطابِ على حالِ كفرٍ، لَكِنَّ الله تعالى علمَ أنَّهم سيتحوَّلون عنه إلى الإيمان، وقد كان أسلمَ عدد كبير منهم بعدَ فتح مكَّة حتّى أُطلق عليهم: (مُسلِمة الفتح).

**موقع جملة ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾، وعلَّةُ فصلِها عمّا قبلها:**

تقريرُ مضمونِ الجُملَةِ المُتَقَدِّمة وتوكيدُه

التَّزيّل: هو التَّمايُز والتَّباين، وجملة ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ جملةٌ مستأنَفة مقرِّرةٌ لِما قبلَها[2]، ومؤكِّدة لمعناها الدّالِّ على أنَّ حكمتَه تعالى قد اقتضَت كفَّ أيدي المؤمنين عن الكافرين، رحمةً بالمؤمنين الّذين يعيشونَ بِمَكَّة مع هؤلاء الكافرين[3]. ويرى ابن عاشور أنَّ جملة ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ بيانٌ لجملة ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ﴾، أي: لولا وجود رجالٍ مؤمنين ونساء مؤمنات مندمجين في جماعةِ المشركين غير مُفْتَرِقين لو افْتَرَقوا لعذَّبنا الكافرين منهم[4]، ولكونِها تأكيدًا أو بيانًا فُصلت عمّا قبلَها؛ لما بين الجملتينِ من كمال الاتِّصال.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 191.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 112.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 281.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 192.

**الغرضُ منَ التَّعبير بأسلوبِ الشَّرط ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾:**

بيانُ علَّةِ عدَمِ إيقاعِ العذاب الأليم عَلَيْهِم

الجملةُ في قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ جملةٌ شرطيَّة؛ إذ إنَّ ﴿لَوْ﴾ حرف شرطٍ غير جازم، ويقال فيه: حرفُ امتناعٍ لامتناع؛ أي: امتناع وقوع الجوابِ لامتناع وقوع الشَّرط. و﴿تَزَيَّلُواْ﴾ فعل الشَّرط، وجملةُ ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جوابُهُ. والمعنى: لو تميّز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الّذين يعيشون في مكّة عن كفّارها، وفارقوهم وانعزلوا بعيدًا عنهم؛ لعذَّبنا هؤلاء الكفّار عذابًا أليمًا. ولكنَّهم لم يتزيَّلوا فامتنع الشَّرط، فامتَنَع - تبعًا له - الجوابُ، فلم يُعذَّبوا ذلك العذابَ الأليمَ. فالغرَضُ من جملةِ الشَّرطِ تعليلُ عدمِ إيقاعِ العذابِ الأليم عليهم؛ وهو القَتلُ والإهلاكُ، فإنَّه بسبَبِ أنَّ المؤمنين الّذين بينَهُم لَم يَنْعَزِلوا عَنْهُم.

**دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، ودلالةُ دخول اللّام عليه:**

تحقُّق وقوع العذاب وسُرْعَتُه حالَ تحقُّق الشَّرط

اللّام في ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ واقعة في جوابِ ﴿لَوْ﴾، وجوابها إن كان ماضيا مُثْبَتا؛ فالأكثر اقترانُه باللّام، كما في هذه الآية. وأوثر كونُه ماضيًا للدّلالة على تحقُّق وقوع العذاب وسُرْعَته في حال تحقُّق الشَّرط.

ويَشْتَرِك جواب ﴿لَوْ﴾ مع جواب (لولا) في الامتناعِ؛ فكلٌّ منهما ممتَنِعٌ، غير أنَّ جواب (لولا) ممتنعٌ لوجود الشَّرط، وجوابَ ﴿لَوْ﴾ ممتنع لامتناع الشَّرط. ويرى بعض العلماء أنَّ التّغاير بينهما هنا مع اتِّحاد النَّتيجة - وهي الامتناعُ - من باب تطريةِ الكلام، وأكثر ما تكون التَّطرية إذا تطاول الكلام وبَعُد عهدُ أوَّله، واحتيج إلى ردِّ الآخر على الأوَّل، فمرّة يُطَرَّى بلفظه، ومرَّة بلفظٍ آخَرَ يُؤَدّي مؤدّاه[1].

(1) ابن المنيِّر، الانتصاف - مطبوع مع الكشاف -: 4/ 343.

### سِرُّ الالتفات من الغَيبة إلى التَّكلُّم في قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾:

تَفْخيمُ العذابِ وتَعْظيمُهُ

في الآية الكريمة التفات من الغيبةِ في قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ - إذ الاسمُ الظّاهرُ في مقامِ الغَيْبَة - إلى التَّكلُّم في قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، وكان مقتضى الظّاهرِ أن يَرِدَ النَّظم القرآنيّ: (لو تزيَّلوا لعذَّب الّذين كفروا)، وعُدِلَ عنِ الغَيْبَة إلى التَّكلُّم؛ لأنَّ الكلامَ لمّا كان عن الرَّحمة؛ ناسبه إظهارُ الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لِما يحملُ مِن معاني الجلال والجمالِ والقُدْرَة، ولمّا جاءَ الكلامُ عن عذاب الكُفّار؛ أُسْنِدَ الفِعْلُ إلى ضمير التَّكلُّم المعظَّم فقال سبحانَهُ: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾؛ لِما فيه مِن زيادة تأكيدِ إيقاع العذابِ بهم[1]، ومِن تعظيم هذا العذاب وتَفْخيمِه؛ لأنَّ فعلَ العَظيمِ عظيمٌ.

### الغرضُ مِنَ التَّعبير بالمفعولِ به اسمَ موصولٍ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

بيانُ علَّة تَعْذيبِهم وهو الكُفْر

عُبِّر بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ للإيماءِ إلى علَّة تعذيبِهم وهو الكُفْرُ باللّه تعالى وبرسُله وبما كان يتعيَّنُ عليهم الإيمانُ به. كما أنَّ في التَّعبير عنهم بالموصولِ وصلتِه إشارةً إلى عراقتهم في الكُفْرِ ورسوخِهم فيه؛ إذ من شأن الصِّلةِ أن تكون ممّا اشتهرَ به مَرْجِعُ الموصولِ.

### معنى (مِنْ) ودلالَتُها في ﴿مِنْهُمْ﴾:

أثَرُ حُروفِ المَعاني في فَهْمِ الدّلالات

(مِنْ) في ﴿مِنْهُمْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ للتَّبعيض[2]، أي: لعذَّبنا الكفّار من ذلك الجَمعِ الّذي تميَّز مؤمِنُهم عن كافرِهم، بحَيث يصير الجمعُ كفّارًا خُلَّصًا.

(1) فاطمة شحاتة، من بلاغة التعبير القرآني في سورة الفتح، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد: 18، والجزء: 4 لسنة: 2014م، ص: 3185.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 192.

تَعظيمُ العَذاب وتَهْويلُه

**الغرض من تَنْكير المفعولِ المطلقِ ﴿عَذَابًا﴾:**

نكّر لفظُ العذابِ ﴿عَذَابًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لتفخيمه وتهويلِه، أي: لعذَّبناهم عذابًا عظيمًا لا يَعْرِفون كُنْهَه ولا يَقْدِرونَ قَدْرَه، وفي ذلك مِنَ تَخويفِهم ما فيهِ.

**سِرُّ وصف العذابِ بالأليمِ:**

وُصف العذابُ بالأليمِ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ للدّلالة على شِدَّته؛ فالأليمُ معناهُ: شديدُ الإيلامِ والإيجاعِ، وبِهَذا يكون هذا التَّذييل متضمِّنًا الدّلالة على عِظَم هذا العذابِ بطُرُقٍ متعدِّدة؛ مِنْها إسنادُ الفعل إلى ضميرِ المتكلِّم المعظِّمَ نفسَهُ، ومنها تنكيرُ العذابِ وما فيه من الدّلالةِ على التَّفخيم، ومنها: وصفه بالأليم، فيكون وصفه بالأليم بمنزلةِ التَّوكيدِ المعنويِّ؛ إذ الشِّدَّة مستفادَةٌ من تنكير لفظِ (عذاب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"